

إحياء علوم الدين

أخاف أني أتيت شيئا حسبه هينا وهو عند الله عظيم .

ولما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فليل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعده سفراه واقلة زاده .

ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر موله .

اجعل رأسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فإني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الأغنياء وأن يميّتي موت الفقراء ثم قال له لقنى ولا تعد علي ما لم أتكلم بكلام ثان .

وقال عطاء بن يسار تبدى إبليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما آمنتك بعد .

وبكى بعضهم عند الموت فليل له ما يبكيك آية في كتاب الله تعالى قوله D إنما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن B على رجل يجود بنفسه فقال إن أمرا هذا أوله لجدير أن يتقي آخره وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له في الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي وقال رويم حضرت وفاة أبي سعيد الخزاز وهو يقول حنين قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكّارهم وقت المناجاة للسر .

أديرت كؤوسا للمنايا عليهم ... فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي الشكر .

همومهم جواله بمعسكر ... به أهل ود الله كالأنجم الزهر .

فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه ... وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري .

فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم ... وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر .

وقيل للجنيد إن أبا سعيد الخزاز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقا .

وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال أن أعرفه قبل موتي بلحظة .

وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال إلى متى تقولون الله وأنا محترق بالله .

وقال بعضهم كنت عند مشاد الدينوري فقدم فقيرا وقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه قال فأشاروا إليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى إلى ذلك المكان ومد رجله ومات وكان أبو عباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجدا فقال لها موتى فقامت المرأة فلما بلغت الدار التفتت إليه

وقالت قد مت ووقعت ميتة .

ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري قالت لما قرب أجل أبي علي الروذباري وكان رأسه في حجري فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول .

وحقك لا نظرت إلى سواكا ... بعين مودة حتى أراكا .

أراك معذبي بفتور لحظ ... وبالخذ المورد من حياكا .

وقيل للجنيد قل لا إله إلا الله فقال ما نسيت فذكره وسأل جعفر بن نصير بكران أن الدينوري خادم الشبلي ما الذي رأيت منه فقال قال على درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه ثم